

جماليات توظيف الموروث الشعبي في مسرح الطفل

-مسرحية سهرة مع البقرة لـ "سلام اليماني" نموذجاً-

**Aesthetics of Including Popular Legacy in Children's Drama
Case Study: An Evening with the Cow, by Salam Al-Yamani**

بومنقاش نبيلة

المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار سطيف، الجزائر، Nabila05n@yahoo.fr

مختبر البحث في تعليمية اللغات المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار سطيف

تاريخ النشر: 2021/12/16

تاريخ القبول: 2021/09/15

تاريخ الاستلام: 2021/05/03

ملخص:

يسعى هذا البحث للكشف عن آليات استدعاء الموروث الشعبي في مسرح الطفل وإبراز المقاصد التربوية والنفسية لذلك سيما وأن الأطفال في وقتنا الراهن يعانون من هجنة في سلم قيمهم حيث لم تعد تربيتهم رهينة الأسرة والمدرسة وحسب، بل تتداخل أنماط تربوية عديدة في توجيههم بفعل العولمة، وسيتم أيضا تحديد العلاقة الوثيقة التي تجمع بين عناصر الموروث الشعبي وطبيعة التفكير الذهني عند الأطفال، واتضح من خلال الدراسة أن نجاح الكاتب المسرحي في توظيف الموروث الشعبي داخل نصه مرهون بمدى تفاعله مع الطفل الصغير الذي يسكنه وإمامه باحتياجاته النفسية والمعرفية المختلفة عن احتياجات الكبار.

كلمات مفتاحية: جماليات؛ الموروث؛ الشعبي؛ مسرح؛ الطفل؛ سلام اليماني.

Abstract:

This research seeks to reveal the mechanisms of summoning the popular heritage in children's theatrical plays and highlights the educational and psychological purposes of this manifestation. This study is a significant contribution because children of our time suffer from a hybrid set of values where their upbringing is no longer hostage to the family and school and where many educational patterns overlap in guiding kids due to globalization. It also determines the close relationship that unites the elements of the popular heritage and the nature of

mental thinking in children. This study shows that the success of the playwright in providing his work with popular heritage is determined by the extent to which this latter interacts with children and covers cognitive and psychological needs which differ from adults' needs.

Keywords: aesthetics; legacy; popular; theatre; children; Salam Al-Yamani

أولى المختصون في أدب الأطفال المسرح عناية كبيرة -سواء من حيث إعداد النصوص أو عرضها وإخراجها- نظرا لأهميته البالغة في التنشئة السوية للطفل فكريا ونفسيا وأخلاقيا... سيما وأنه لا يكتفي بالنص المكتوب بل يتعداه إلى الحركة الممثلة وهي سلوك مرتبط بالطفل منذ نعومة أظافره حيث نراه يقسم الأدوار على الدمى والعرائس ويبادلها جملة من الحوارات التي تتم عن خياله الفسيح ورؤيته البسيطة للواقع الذي ينتمي إليه. وقد ارتبطت النصوص المسرحية الموجهة للأطفال بمرجعيات فكرية ومعرفية مختلفة (التاريخ، الدين، الترجمة...) ويعد الموروث الشعبي في هذا السياق دعامة قوية لربط الطفل بقيم الأجداد التي من شأنها أن تحافظ على توازنه النفسي والاجتماعي من تأثيرات العولمة التي أضحت تثب سمومها عبر وسائط إلكترونية تمتاز بالسرعة والدقة في تنفيذ الأهداف والمخططات.

وتؤطر هذه الدراسة جملة من الإشكاليات أبرزها: ما مفهوم مسرح الطفل وما هي خصائصه؟ ما هي مبررات ارتباط مسرح الطفل بالموروث الشعبي؟ وكيف تجلت عناصر هذا الموروث في مسرحية "سهرة مع البقرة" لسلام اليماني؟ وهل تمكنت من تلبية الاحتياجات الجمالية و التربوية و النفسية للطفل ؟

وتتلخص أهداف هذا البحث في فهم تلك العلاقات المتينة التي تجمع بين مسرح الطفل والموروث الشعبي وتوضيح مدى إسهامها في خلق الإثارة والدهشة لدى جمهور الأطفال أثناء تلقي النص المسرحي من جهة، وتحقيق التنمية المتوازنة لشخصية الطفل من جهة أخرى، واستعانت الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي لتناسبه وطبيعة الموضوع.

2. تعريف الموروث الشعبي (الفلكلور)

1.2 لغة:

جاء في لسان العرب مادة "ورث" "الوارث: صفة من صفات الله عز و جل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، والله عز و جل يرث الأرض و من عليها، وهو خير الوارثين أي يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملكا لعباد إليه وحده لا شريك له"¹. يلاحظ من خلال هذ التعريف اللغوي تقاربه مع المفهوم الاصطلاحي في معنى الديمومة فقد سمي الموروث

الشعبي بهذا الاسم لديمومته و تناقله جيلا بعد جيل و ظل سجلا حافلا بأحداث الأمم الغابرة و ثقافتهم و أخبارهم و بطولاتهم.

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "تراث: ما يخلفه الميت لورثته... و كل ما خلفه السلف من آثار علمية و فنية و أدبية سواء مادية كالكتب و الآثار و غيرها، أم معنوية كالآراء والأنماط والعادات الحضارية المتنقلة جيلا بعد جيل، مما يعتبر نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر و روحه... موروث: اسم مفعول من ورث .. مجموعة من العادات و الأعراف ينظر إليها كسوابق تشكل الجزء الأساسي المؤثر على الحاضر"².

و جاء في لسان العرب مادة(ش-ع-ب)" الشعب: القبيلة العظيمة، ... والجمع شعوب، و الشعب أبو القبائل، و في التنزيل "إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا". قال ابن عباس رضي الله عنه في ذلك: الشعوب الجماع والقبائل والبطون، بطون العرب، و الشعب هو ما تشعب من قبائل العرب و العجم،... والشعب: القبائل .. وحكى الكلبي عن أبيه: الشعب أكبر من القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ قال الشيخ ابن بري: الصحيح في هذا ما رتبته الزبير بن بكار و هو الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة، قال أبو أسامة: هذه الطبقات على ترتيب خلق الإنسان فالشعب أعظمها، مشتق من شعب الرأس ثم القبيلة من قبيلة الرأس لاجتماعها ثم العمارة وهي الصدر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهي الساق³ ".فأساس المفهوم اللغوي للشعب إذن هو الكثرة العددية للأفراد و تشعبهم أي تفرقهم و تباعدهم و هو ما يستلزم ضمنا امتداد الإطار المكاني لهؤلاء الأفراد.

2.2 اصطلاحا:

إن مصطلح الفلكلور **Folklore** هو مصطلح انجليزي "قام بصياغته عالم الآثار الإنجليزي جون تومز **William Jhon Thoms** في عام 1846 ليبدل على دراسة العادات المأثورة و المعتقدات و الآثار الشعبية القديمة، ويتألف هذا المصطلح من مقطعين **folk** بمعنى الناس و **lore** بمعنى حكمة أو معرفة..أو معارف الناس أو حكمة الشعب"⁴ .

و يشمل التراث الشعبي " جميع الموروثات على مدى الأجيال من أفعال وعادات وتقاليد وسلوكيات وأقوال تتناول مظاهر الحياة العامة والخاصة وطرق الاتصال بين الأفراد و الجماعات..⁵ "

انطلاقا من الدلالة اللغوية لمفردة الشعب يستنتج مرسى الصباغ أبرز الخصائص النوعية التي تميز الموروثات الشعبية حيث يقول " وبما أن الشعب هو القبيلة العظيمة أو مجموعة من القبائل، وبما أنه أكبر الأقسام السابقة إذا فهو كما في مدلول كلمة تشعب أي تفرق وتباعد وانتشر وتوزع، نجد أن أول معاني الشعبية هو الانتشار، وبما أن الشعوب تمتد في تاريخها إلى جذور عميقة متناهية في القدم لذا فإن المعنى الثاني للشعبية هو الخلود. ومن ثم فإن كلمة شعبي عندما نطلقها على أي شيء لا بد وان يتسم هذا الشيء بالانتشار أولا ثم الخلود ثانيا .. أي الانتشار والتوزع و التباعد المكاني و الزماني⁶ "

3. تعريف مسرح الطفل

1.3 لغة:

جاء في لسان العرب المسرح " بفتح الميم: مرعى السرح، وجمعه المسارح... وفي حديث أم زرع له إبل قليلات المسارح، هو جمع مسرح، و هو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعي ...⁷ فالمرح لغة دال على المكان الذي ترعى فيه الغنم و هو ما يتقاطع مع المعنى الاصطلاحي حيث أصبح دالا على المكان الذي تتحرك فيه شخصيات المسرحية و تؤدي عليه مختلف الأدوار الموكلة إليها.

2.3 اصطلاحا:

يعد المسرح من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان ويعتمد أساسا على المحاكاة، محاكاة أفعال الشخصيات وتمثيلها على خشبة المسرح من خلال حضور مجموعة من الممثلين و يؤدون حوارات محددة مسبقا على ركح مسرحي ووفق إضاءة وديكور معين ويفرق باتريس بافي في هذا السياق بين مسرحة الحدث والصياغة الدرامية قائلا " إن مسرحة حدث ما أو نص، هو شرح و ترجمة مسرحية باستعمال خشبات و ممثلين لإحلال الموقف، فالعنصر المرئي للخشبة، و تموضع الحوارات هما سمتا

المسرحية و على النقيض من ذلك فإن الصياغة الدرامية تحمل على النسيج النصي فقط: إقامة الحوار و ابتداء و توتر درامي و نزاعات بين الشخصيات و دينامية الفعل الدرامي.⁸ و يتقاطع مصطلح المسرحية مع مصطلح الدراما (التراجيديا و الكوميديا) و يفصل أرسطو في شروط بناء التراجيديا و أبرزها أن تكون حبكة معقدة و تعتمد عنصر المفاجأة، و أن يكون لها بداية ووسط و نهاية، و أما البطل التراجيدي فيشترط أن يكون من الطبقة النبيلة لأن سقوط النبيل أشد وقعا على النفوس و لابد أن تكون النهاية تعيسة حتى يتحقق فعل التطهير⁹، وقد تجاوز النقاد الشروط الكلاسيكية المرتبطة ببناء النص المسرحي في العصور الحديثة بفعل ظهور نظريات أدبية آمنت بأسس و مقومات جمالية جديدة.

و يعرف إسماعيل عبد الفتاح المسرحية بقوله: " هي الصورة اللغوية التي تأخذ شكلها النهائي حين تؤدي على خشبة المسرح لكي يتلقاها الجمهور سواء أكانوا صغاراً أم كباراً"¹⁰ و أما مسرح الطفل فيعرف بأنه « تسمية تطلق على العروض التي تتوجه لجمهور الأطفال و اليافعين، ويقدمه ممثلون من الأطفال أو الكبار، وتتراوح غايتها بين الإمتاع والتعليم، كما يمكن أن تشمل التسمية عروض الدمى التي توجه عادة للأطفال، ويمكن أن يأخذ مسرح الأطفال شكل العرض المسرحي المتكامل الذي يقدم في صالات مسرحية أو في أماكن تواجد الأطفال، مثل: الحدائق أو المدارس¹¹».

و يعرفه أحمد زلط بأنه " عمل فني مادته الأولى النص التأليفي الموجه للأطفال والذي يناسب مراحل أعمارهم المتدرجة، و من ثم ينتقل فوق خشبة المسرح إلى عرض تمثيلي درامي مبسط يقدمه الممثلون وفقاً لتوزيع الأدوار التي يلعبونها بعضهم العناصر (المكملات) المسرحية الفنية من ديكور وإضاءة وأزياء وأصوات وغيرها بالإضافة إلى رؤية مخرج العرض وتناغم فريق الأداء التمثيلي مع عناصره الفنية"¹².

يتضح مما سبق أن مسرح الطفل فن أدبي يعرض في المدارس أو خارجها (دار الثقافة....) يؤديه الكبار و يمكن إشراك الأطفال أيضا في أداء بعض الأدوار التي تناسب قدراتهم الجسدية و العقلية، وهو ليس مجرد وسيلة للترفيه و الإمتاع بل هو أداة فعالة للارتقاء بخبرات الأطفال وأذواقهم و"مما يضاعف من هذا التأثير اشراك أكثر من حاسة في توصيله للطفل، واستيعابه له خلال عرض

المسرحية، إذ يرى الأحداث و المواقف بعينيه، كما يسمع بأذنيه الحوار المشكل لهذه المواقف فيقوي ذلك التأثير لاسيما إذا نجح النص الدرامي في تحقيق تجاوب الطفل معه واندماجه فيه، سواء كان مشاهدا له أو مشاركا في تمثيله، ثم يقوم الديكور الملائم والممثل الواعي و غير ذلك من وسائل العرض المسرحي بدفع النص خلال تمثيله و تقديمه ليحقق أقصى غايات التأثير في الأطفال¹³.

4. علاقة الموروث الشعبي بمسرح الطفل

يلخص سيد علي اسماعيل دوافع توظيف التراث في المسرح عموما فيما يلي:

أولاً-الفخر بمآثر العرب وتاريخهم.

ثانيا- الوقوف في وجه الاستعمار الاجنبي الذي حاول طمس الشخصية الوطنية.

ثالثا- التمسك بالهوية القومية العربية وتأسيس قاعدة متينة للبناء الحضاري للأمة.

رابعا- محاولات التأسيس للمسرح العربي حيث أراد الكتاب التحرر من سطوة المسرح الأوروبي

و اهتموا بالتأسيس لهذا الفن انطلاقا من معطيات الثقافة العربية¹⁴.

ويتقاطع الموروث الشعبي مع أدب الأطفال من جوانب عديدة و" ربما كان ما يتمتع به جانب

من التراث من توفر عنصر الحكاية والدرامية وأعني بها الحركة المجسدة للفعل من العوامل التي تدفع

الكتاب إلى استثمار هذا التراث في أدب الأطفال، فكلا هذين العنصرين مهمان في مجال المسرح

للوصول إلى عقل الطفل و وجدانه¹⁵" بالإضافة إلى العلاقة الشديدة التي تربط الموروث الشعبي

باللاشعور الجمعي للشعوب.

ومن أبرز الإشكاليات التي يتوجب على المبدع والناقد مناقشتها مسألة كيفية توظيف التراث

الشعبي في أدب الأطفال فالأمر لا يتوقف عند حدود الاستدعاء الحرفي للنص التراثي وحسب بل

لابد أن يكشف التراث "عن الواقع المعيش فيما يلتقي معه من جوانب قد تشبهه، ويصبح تجلي

الموقف التراثي كاشفا عن الماضي بما فيه من إيجابيات، والحاضر بما فيه من سلبيات في الوقت

نفسه، ومرهضا بالتغيير المستقبلي المرجو أيضا كما تتجلى القيم التي ترجى من وراء ذلك، ويراد

غرسها في الأطفال وتقريبها إليهم. وتحقق فاعلية هذا التوظيف وسلامته باستدعاء بعض شخصياته

التراثية، فتتراءى فاعليتها في الحاضر كاشفة عن نقائصه، من خلال المقارنة بين سلوكها في

الماضي الذي يعيه العقل الجمعي للأمة، والحاضر الذي يفتقد فيه هذا السلوك - كما تكشف حركة هذه الشخصيات عن ذلك - أو تفتقد إيجابية نظائرها في الواقع المعيش، الذي يحتاج إلى فعالية مثل هذه الشخصيات، ويتضح احتياج الحياة إلى أمثالها من المخلصين الواعين الواعدين¹⁶.

ويجب أن يكون الكاتب ذكياً في عملية اختيار العناصر التراثية المناسبة لموضوع مسرحيته ولطبيعة الأهداف التي يود تحقيقها، وأن يحرص على صنع الانسجام داخل نصه بحيث تتعدّد الأحداث شيئاً فشيئاً إلى أن تصل الذروة ثم يأتي الحل المناسب لها والمرضي لجمهور المشاهدين من الأطفال.

5.5. تمظهر التراث الشعبي في مسرحية سهرة مع البقرة - أسطورة من قديم الزمان - لـ "سلام

اليماني"

1.5 ملخص المسرحية:

تتلخص شخصيات المسرحية فيما يلي:

"أ - البقرة: حيوية، ذكية، عاطفية.

ب- الخروف: خروف رضيع.

ج- عباس: كاتب سيصير قاضياً 30 سنة.

د- مرداس: مالك البقرة 50 سنة.

هـ - الحطابة: أرملة فقيرة 25 سنة.

و- أبو المذابح: بطل شعبي أحرق 30 سنة¹⁷.

وقد نشر سلام اليماني* مسرحية سهرة مع البقرة (أسطورة من قديم الزمان) في "العدد رقم 47 لسنة

1999 من مجلة الحياة المسرحية و قام الكاتب بتعديله سنة 2004¹⁸

تبدأ أحداث المسرحية بطلب البقرة المحبوسة من الخروف أن يقترب منها كي ترضعه سيما وأنه يعاني الجوع الشديد بعد وفاة أمه، و يجيبها الخروف أنه لا يمكنه الاقتراب منها لأنه محبوس أيضاً في حظيرته وفي هذه الأثناء يظهر مرداس الذي يهدد البقرة ويطلب منها ضرورة الالتزام بالهدوء، ثم تتقدم الأرملة/الحطابة رفقة خروفها اليتيم باتجاه مرداس هذا الأخير الذي يعاتبه مرداس عتاباً شديداً متهما إياه بسرقة الحليب من ضرع البقرة و تحريضها على التمرد، وفي هذه الأثناء تعرض عليه الحطابة اتفاقاً "الحطب مقابل الحليب" و يرفض مرداس طلبها مؤكداً أن الحليب مقابل النقود و إن لم تتمكن من بيع الحطب فلن يحصل الخروف على الحليب¹⁹.

بعد تأزم الوضع بين مرداس و الحطابة تظهر شخصية عباس و هو رجل مثقف و سيصبح قاضيا، همه تتبع المشكلات ثم حلها ثم إعادة جمعها في شكل حكايات، يدعي أنه عابر سبيل يقترب من البقرة لسمع حكايتها العجيبة فهي عاقر لا تتجب العجول ورغم ذلك فهي مدرة للحليب و بكثرة بسبب إشفاقها على الخروف اليتيم، في هذه الأثناء تلتقي الحطابة مع مرداس مجددا و يضربها فيتدخل عباس و يتصدق بدرهم مقابل رضاعة الخروف و لكن الحطابة ترفض ذلك و بشدة، بعدها يطلب مرداس من أبي المذابح قتل عباس و تهديد البقرة بالذبح...و في نهاية المسرحية يصل عباس إلى حل نهائي للمشكلة من خلال عقد قران بين أبي المذابح و الأرملة الحطابة و بذلك يمتلك مرداس الرعب و لا يرفع سعر الرضاعة بل و يقبل بالحطب مقابل الرضاعة وقد انتصرت قيم الخير و العدالة في نهاية المسرحية بفضل حكمة عباس و قوة أبي المذابح وإصرار الحطابة²⁰

يلاحظ أن شخصيات المسرحية متنوعة تجمع بين عالم الحيوان و الإنسان وهذه ظاهرة قديمة في الفكر الإنساني فالحيوان مرافق دائم للإنسان منذ وجد على سطح الأرض و قد خلدته النقوش و الحفريات التاريخية للحضارات القديمة، و قد كان بالنسبة للإنسان مصدرا للأكل و الشرب و اللباس و وسيلة للزراعة و التنقل و الحراسة...و لم يبق الحيوان حبيس الأنشطة المادية بل تم توظيفه و بقوة في المعتقدات الدينية الوضعية و في المؤلفات الأدبية على غرار كليلة و دمنة...و يعد عالم الحيوان مادة خصبة لتفسير ظواهر الحياة و أحداثها و قد حمل الأدباء و المفكرون كل فصيلة حيوانية مهمة التعبير عن رمز ما، فالثعلب رمز للخداع، و الكلب رمز للوفاء...و يستأنس الأطفال كثيرا بعالم الحيوان لما يتمتع به من لطف و جمال ..

وتتلخص أهم مظاهر الشخصيات الواردة في مسرحية "سهرة مع البقرة" فيما يلي:

- "البقرة: فتاة تمثل بهيئتها البشرية وتلبس قناع رأس البقرة وسروالا فارسي أنيقا وقميصا أبيض و صدرية عسلية اللون قصيرة بلا أكمام، وعلى خصرها زنار فيه أربع زجاجات إرضاع (رضاعات) مليئة بالحليب وهي من الأواني الزجاجية القديمة.

- الخروف: طفل يؤدي دوره بهيئته البشرية ويلبس قناع خروف.

- عباس: يلبس ثياب عالم رحالة، على رأسه قلنسوة ذات هيبية في أعلى مقدمتها ريشة طاووس، ويحمل سجلا ضخما سجل فيه ألف مشكلة أي ألف حكاية²¹. يلاحظ من خلال هذه المظاهر استعانة سلام اليماني بعناصر التراث المادي في رسم ملامح شخصياته حيث تجاوز معطيات الموضة التي تفرضها العولمة و حرص على ربط الطفل ببيئته و بمعالم تراثه المادي و هذا من شأنه

أن يعزز قيمة الانتماء لدى المتلقي/المشاهد و يساهم أيضا في صهر عقول الأطفال داخل الجو الحكائي القديم.

2.5.5جماليات العنوان:

أقم سلام اليماني العديد من العناصر التراثية في مسرحية "سهرة مع البقرة" والبداية مع العنوان "سهرة مع البقرة" - أسطورة من قديم الزمان - و هو عبارة عن جملة إسمية و أما ألفاظه فهي سهلة و مألوقة لدى الطفل " يحيل مصطلح "السهرة" إلى جو حكاوي تراثي شعبي و يحمل عنه الطفل مرجعيات كثير تحيله على جو السهر العائلي حيث تحكي الجدة أروع الحكايات الشعبية قرب المدفأة في ليالي الشتاء الباردة الطويلة و بهذه الإحالة يشوق الكاتب الطفل و يقوم بتهيئته نفسيا لاستقبال أحداثها. و أما شخصية البقرة وهي عنصر محوري في المسرحية فتحمل في اللاشعور الجمعي العربي دلالات عميقة ترتبط برمزية بقرة بني إسرائيل وهي رمز للعطاء الذي لا ينضب كما لعبت أيضا دور الجدة/القاص. والمتأمل في العنوان الفرعي (أسطورة من قديم الزمان) يلاحظ حرص الكاتب على ربط أحداث المسرحية بالمتخيل الشعبي الأسطوري الذي توارثه الإنسان جيلا عبر جيل، حيث عرض عقدا على قرائه يعدهم فيه بالإثارة والتشويق سيما وأن الموضوع الأسطوري يستدعي حتما التساؤل والتشويق فهو امتداد لروائع العصور الغابرة حيث يتحرر العقل من سلطتي الزمان والمكان ويفسح المجال لاشتغال الخيال الخصب.

استفتح الكاتب المسرحية بإنشاد فحواه التشويق والإغراء بالمتعة هذا ما يتضح بعد دخول الممثلين حيث ينشدون جميعا المقطع الموالي:

" أهلا يا أقمار أشرقت الأنوار

هيا هيا نفرح هيا هيا نمرح

نقضي وقتا مثل العيد

بل أحلى من أحلى عيد"²²

وفي هذه الأثناء ترد شخصية البقرة بالأغنية الموالية:

"أهلا بكم أحبتي

بكم تتم فرحتي

وسوف أقضي فرحتي

أحكي لكم حكايتي...

حكايتي مع البشر

يبكي لها قلب الحجر
رأسي من الظلم انكسر
قلبي من القهر انفجر²³

واقحام الأغنية وهي عنصر شعبي قديم من شأنه أن ينثر النشاط والحيوية والحماس على خشبة المسرح سيما وأنها تغنى جماعيا وترافقها مجموعة من الإيقاعات الموسيقية بالإضافة إلى جملة من القيم الأخلاقية السامية التي تعبر عنها.

3.5 تيمة اليتيم والحاجة للرضاعة:

يعد اليتيم تيمة مركزية تمثل الفطرة الإنسانية رغم تعدد مشاربها الثقافية و أديانها...و قد تم تداولها في معظم القصص الشعبية حيث يعد فقد أحد الوالدين أو كلاهما مقدمة طبيعية لاختلال الأسرة و يؤدي إلى تهيئة الشخصية البطلة للمشاكل والصراع مع أطراف عديدة لأنها تقتد لشخصية تدافع عنها و بذلك تتنامى الأحداث هذا ما يتجلى مثلا في حكاية بقرة ليتامي في التراث الشعبي الجزائري و سندرلا...و قد تم تفعيل هذه التيمة في مسرحية "سهرة مع البقرة" فبعد وفاة أم الخروف توالى المصائب عليه حيث فقد مصدر عيشه/الحليب بعد رفض مرداس إرضاع البقرة له بسبب عجز الحطابة الأرملة عن تسديد أجرة الرضاعة...و بهذا يتم تحضير الطفل نفسيا للتفاعل مع أحداث المسرحية و كذا تعزيز أواصر انتمائه لأسرته التي تمثل الحصن المنيع الذي يحافظ عليه من نوائب الدهر.

4.5 العجائبية:

ولم تبق المسرحية حبيسة الحوار بل استعان المؤلف بأسلوب القصص الشعبي حيث وظف بالعجائبية التي تعد ركيزة أساسية يستند عليها المورث الأدبي الشعبي هذا ما يتجلى في الحوار التالي:
"عباس: أهل القرية أخبروني الكثير وكتبته في هذا الكتاب. (يستعين بكتابه في الرواية) أنت بقرة عاقر لا تستطيع الحبل وإنجاب العجول. وكنت ملكا لفلاح من أهل القرية كريم طيب، عاملك أحسن معاملة وسماك "شريفة"، وعشت عنده تحرثين الأرض وتعيشين بأمان. وفي يوم من الأيام جاء مرداس إلى الفلاح وطالبه بديون كثيرة. وكان الفلاح مفلسا لا يقدر على وفاء ديونه، فاقتادك مرداس من عنده وصرت ملكه.

البقرة: هذا كله لا يهم.

عباس: وما المهم إذا...؟..

البقرة: المهم حكايتي مع الخروف، فعندما ماتت غنمة الجارة الحطابية، أشفقت على اليتيم الصغير شفقة عظيمة وصرت أبكي، فامتألت ضروعي بالحليب وصار يسيل منها بلا توقف، وفرح مرداس كالمجنون و بدأ يبيع حليبي لإرضاع الخروف و للجميع²⁴ ."

يلاحظ من خلال هذا الحوار أن البقرة كائن أسطوري مرتبط دائماً بالعبء وبتقديم المساعدة حتى في حالة الحزن والألم والبكاء، وقد وضع الكاتب عناية قوة إلهية غيبية بإصلاح حال اليتيم وهذا من شأنه أن يبث الطمأنينة في قلب الطفل ويشعره بالحل السريع للمشاكل بفضل العناية الإلهية التي تجسدت في ذلك الكائن الأسطوري.

ويؤكد عبد التواب يوسف أهمية الحكاية الشعبية بالنسبة للطفل لأنها تعينه على مواجهة مشاكل نموه العاطفي والنفسي، بل وحل هذه المشاكل تمهيدا لاستقلالته واعتماده على نفسه.. حيث تمنحه الحكايات الشعبية الإحساس بالأمان لأنها تبعده عن المشاكل بمسافات طويلة، فالمشاكل دائماً ما تكون في ذلك العالم الخيالي وتنتهي دائماً نهاية سعيدة، و ذلك ما يمنحه الأمل في المستقبل و الحياة

25

إن هدف هذه القصص -إذن- ليس تقديم المعلومات للأطفال، بل اشباع مخيلاتهم ودفع عقولهم إلى التفكير في آفاق أكثر سعة، حيث تتيح لهم "أن يطوفوا على أجنحة الخيال في شتى العوالم، قاب قوسين منهم أو بعيدة مترامية، و يلتقون بأشخاص قد يشبهونهم أو قد يسعدهم التشبيه بهم، مثلما يلتقون بأقزام و عمالقة، و جبابرة و أبطال، و مخلوقات في منتهى الغرابة، منها ما هو وديع كل الدعة أو مفترس ينطلق من عيونه الشر... و يتخطى الأطفال في قصصهم أبعاد الزمان و أبعاد المكان فيجدون أنفسهم في يومهم هذا أو يجدونها في عصور غابرة أو عصور لم تأت بعد.²⁶ "

ويؤكد علي الحديدي أنه لا يمكن أن نتجاهل الحقيقة التي تؤكد أن القصص العجائبية تفيد الأطفال من طرق شتى، "ومن ذلك قدرتها العليا على عرض الحق في جماله والصدق في بهائه خلال ثوب من التصور و الخيال. وذلك هو الطريق الذي اتخذته جنس الأطفال تجاه الحكمة و التي تسلكه الفطرة الغريزية لكل طفل ميراثاً من براءة الطفولة واستجابتها الفطرية للحق والصدق²⁷ ."

وبالإضافة إلى عرض الحق والصدق تساهم العجائبية في تنمية مخيلة الطفل وإثرائها وبث الدافعية للقراءة والاطلاع سيما وأن الطفولة في زمن العولمة صارت مصيدة للاستهلاك والإثارة وسيطرة بلاغة الصورة على الوعي والإدراك.

6.5 المثل الشعبي:

ويتجلى حضوره في المسرحية من خلال الحوار التالي:

" الحطابة (تدخل حاملة حزمة الحطب)

مرداس: أراك لم تحضري الخروف كالعادة...

الحطابة: إنه نائم ويموت جوعا. (تضع الحطب على الأرض).

مرداس: أليس في القرية كلها غنمة أو حمارة ترضعة؟...

الحطابة توجد غنمة. لكنه لا يقبل الحليب إلا من هذه البقرة .

مرداس: ما شاء الله ! شحاذ ومدلل ...

الحطابة: أنا لا أطلب إرضاعه على حسابك، لكنني لم أستطع بيع الحطب لا هنا و لا في القرى

القريبة... الطقس أصبح دافئ²⁸

يتضح المثل الشعبي في قوله " شحاذ و مدلل" و قد ورد هذا المثل بصيغ أخرى على غرار قولهم في

الكويت "طرار و يتشرط" و هو مثل شعبي يضرب للمتسول أو المحتاج لغيره و يضع شروطه رغم أنه

في موقف ضعف و حاجة.

وورد المثل أيضا في الحوار الموالي:

"أبو المذابح: أنت تحيرني، أذبحها؟ لا تذبحها. أخوفها؟ لا تخوفها.... ماذا تريد؟

مرداس: أريد أن تنصحها حتى تطيعني أريد أن ترببها.

أبو المذابح: أنا جاهل في التربية، لا ربّيت أحدا و لا ربّاني أحد²⁹ "

تعد الجملة الأخيرة للحوار ترجمة فعلية للمثل الشهير "فاقد الشيء لا يعطيه"

تتفرد الأمثال الشعبية بقيمة عظيمة حيث "يعبر بها أفراد المجتمع عن خبراتهم و معارفهم، لأن تلك

الأمثال هي نبض لكل الطبقات الشعبية، وهي كذلك من أهم مصادر التأريخ الأخلاقي والاجتماعي

للأحقاب الزمنية لكل أمة حيث تشيع أمثال وتندثر أخرى...وبالإضافة إلى كونها أدبا شعبيا نجد

الأمثال الشعبية من المواد الخام الأساس للباحث الأنثروبولوجي للتعرف على عادات و تقاليد المجتمع

الذي يدرسه فهي نسيج من خبرة الحياة اليومية و وجهة النظر القيمية للمجتمع.³⁰

باعتبار أن المثل هو خلاصة العقل البشري عبر الزمان فهو معين خصب لتأطير الطفل في زمن

العولمة سواء من الناحية الاجتماعية أو الأخلاقية...لأنه بمثابة" الإطار الذي يحدد مجالات الحياة

الإنسانية و قيمتها الأخلاقية و يحدد ما للإنسان فيها و ما عليه، حتى لا يظل في متاهات الانحراف،

حيث أنه يعتبر من الوسائل الفعالة داخل المجتمع في توجيه الأفراد و تعريفهم بالقواعد السلوكية

المستحبة التي يجب اتباعها، و النواحي المنكرة التي يجب الابتعاد عنها³¹."

تمتاز موضوعات الأمثال الشعبية بالموسوعية حيث طرقت جميع مواضيع الحياة - من حب، عمل، ظلم، أخلاق، أخوة، صداقة، علم...- وتحظى بانتشار واسع لقصر عبارتها و دقة معانيها، كما أنها تحظى بمصداقية كبيرة في التشريع للعادات و الأخلاق الخاصة بشعب ما لأنه عبارة عن "جملة استوعبت حكمة الشعب و نظرت له لطبيعة العلاقات الإنسانية"³²

7.5 تيمة الزواج:

"عباس: الآن توصلت إلى حل المشكلة. والحل عندك.

أبو المذابح: لا تحرضني على الجريمة.

عباس: لا أقصد الجريمة، بل حل المشكلة.

أبو المذابح: حيرتني. ما هذا الحل؟

عباس: تتزوج الحطابة.

أبو المذابح: أهذا وقت الزواج يا كاتب الحكايات ؟ هذا وقت الخروف.

عباس: تزوج فوراً فتنتهي مشكلة الخروف.

أبو المذابح: يا أخي فهمني، لست أفهم.

عباس: عندما تتزوج الحطابة، يخافك مرداس ويخافها فلا يرفع سعر الرضاعة، ويقبل بالحطب أيضاً .

أبو المذابح: حياك الله على ذكائك. وكرمي لك و للخروف سوف أتزوج الحطابة"³³.

استعان سلام اليماني في نهاية المسرحية إذن بتيمة الزواج التي يكثر تداولها في الحكاية الشعبية بل وأكد عباس/الرجل الحكيم أن زواج أبي المذابح و الحطابة هو الحل الوحيد للإشكال المركزي المطروح في المسرحية و قد بدأ الكاتب نصه بإبراز الحالة المزرية لأسرة الحطابة بعد وفاة زوجها و احتراق منزلها و لم يبق لها سوى خروف يتيم، وتم تتويج نهاية المسرحية بعقد الزواج بين أبي المذابح و الحطابة الأرملة و هذا بمثابة انتصار للنواة الأولى المسؤولة عن توجيه الطفل و إرشاده و تربيته و هي "الأسرة" وهذا من شأنه أن يعزز في الطفل قيم التفاعل و الانخراط الاجتماعي.

8.5 صراع الخير والشر:

استعان الكاتب بثنائية الخير و الشر التي تعد ركيزة أساسية لمعمار القصص الشعبي و قد طفت على سطح المسرحية مجموعة من القيم الأخلاقية الخيرة مثل: الوفاء والتضحية/الأرملة الحطابة، العطاء المستمر/البقرة، مساعدة المحتاجين ونصرة المظلومين/عباس، الشجاعة/أبو المذابح، و في المقابل برز الشر من خلال شخصية مرداس الذي تبنى نسق الرفض و الطمع...و لقد تأزمت المسرحية في عدة مواقف و لكنها انتهت بانتصار الخير حيث تم إرغام مرداس على السماح للبقرة

بإرضاع الخروف اليتيم يوميا و بدون مقابل، و قد تم قهر الجبروت المالي الذي يتمتع به مرداس بفضل قوة الصبر التي تتمتع بها الأرملة و الذكاء الحاد الذي يميز عباس، والشجاعة اللامتناهية المميزة لشخصية (أبي المذابح) و تم توحيد هذه القوى بعد زواج أبي المذابح من الأرملة وبعده الصراع بين الخير و الشر انتهت المسرحية نهاية سعيدة و هذا من شأنه أن يعزز في الأطفال مقومات للسلوك الرشيد .

9.5 مركزية العلم/الحكمة:

و هو ما يتجلى من خلال شخصية عباس الذي نستنتج طبقته الاجتماعية التي ينتمي إليها من خلال الثياب التي يرتديها حيث سبق الذكر أنه يرتدي ثياب عالم الرحالة، و على رأسه قلنسوة في أعلى مقدمتها ريشة الطاووس، و الأهم من هذا و ذلك أنه يحمل سجلا ضخما سجل فيه ألف مشكلة (أي ألف حكاية) قام بحلها و هذا ما ينم عن سعة علمه وحكمته في تسيير الأمور و تحفل معظم الحكايات الشعبية بهذا النمط من الشخصية فقد يظهر على هيئة شيخ طاعن في السن يحسن النصح و الإرشاد حيث يوجه البطل نحو أهدافه و يذلل الصعاب التي تعترض طريقه و يمكن أن يظهر في المقابل شخصية خارقة الذكاء ولكن تستخدم خبرتها في إعاقة مسار البطل هذا ما نجده مثلا في حكاية بقرة ليتامى من خلال شخصية الستوت.

تتجلى أهمية إقحام هذا العنصر الشعبي في مسرح الطفل في تحقيق التوازن النفسي للطفل حيث بينت أهمية الاتصال بأصحاب الخبرة لحل مشكلات الحياة المختلفة وهذا من شأنه أن يوطن في نفسية الطفل الصراحة والحوار مع أفراد من المجتمع يمتازون بالحكمة وحب الخير بدل التوجه لأصدقاء السوء.

4. خاتمة:

وفي الختام يمكن تلخيص النتائج التي خلصت إليها الدراسة فيما يلي:

- أكثر استدعاء الموروث الشعبي في أدب الأطفال عموما و مسرح الطفل على وجه التحديد، وهذا لا يعني أنه مجرد عملية عشوائية تقوم على الصدفة بل يتوجب على الكاتب أن يحسن التحوار مع الطفل الصغير الذي يسكنه و أن يتحلى بالفطنة و الموسوعية حتى ينجح في عملية المواءمة بين طبيعة الموروث الشعبي والاحتياجات النفسية والتربوية... للطفل التي تختلف عن احتياجات الكبار.

- يعتبر الموروث الشعبي معينا لا ينضب يلخص تجارب الإنسان و أنماط معيشته و طريقة تفكيره ورؤيته للعالم ويربط ماضيه بحاضره وهو المسؤول عن توجهه المستقبلي، وعلى هذا الأساس

فهو شريك فعال في عملية تأطير جيل الغد و توجيهه إلى القيم الإنسانية السامية والضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، سيما وأن الطفولة في عصر العولمة تعاني من سطوة وسائل الإعلام و مختلف الوسائط الالكترونية التي جعلت العالم قرية واحدة وفرضت فيه نموذج تربوي أحادي/غربي همه الوحيد طمس معالم الهوية التي ينتمي إليها الطفل، و جرت الأطفال إلى عوالم غيبية يسودها العنف بمختلف أشكاله و زرعت فيهم المبدأ الذي يحكم الغابة (لا بقاء إلا للأقوى).

-استثمر سلام اليماني عناصر الموروث الشعبي في مسرحيته "سهرة مع البقرة" فأضفى عليها طابعا من الجمال والتشويق كما نجح في تحقيق قيم الخير والاستقرار النفسي الذي يحتاجه الطفل في حياته من خلال ثنائية الخير والشر التي تبث في الطفل الشعور بالارتياح والرضى.

5.الهوامش:

¹ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت/ لبنان، دار صادر. د- ط، د-ت المجلد 2، ص199.

²مختار عمر أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة/مصر، عالم الكتب، ط1، 2008، المجلد 1، ص ص 2421-2422.

³ ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد1، ص ص 500-501.

⁴ أحمد مصطفى فاروق، العشماوي عثمان مرفت، دراسات في التراث الشعبي، الاسكندرية/مصر دار المعارف، د- ط، 2000، ص 31.

⁵ بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، الاسكندرية/مصر، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ط2، 2002، ص 16.

⁶الصباغ مرسى، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، الاسكندرية/مصر دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006، ص 8.

⁷ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد 2، ص 478.

⁸بافي باتريس، معجم المسرح، ترجمة ميشال.ف.خطار، بيروت/لبنان، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2015، ص 536.

⁹ينظر، عزيز الماضي شكري، في نظرية الأدب، بيروت/لبنان، دار المتخب العربي، ط1، 1993، ص ص 43-44.

¹⁰عبد الفتاح اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، القاهرة/مصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2000، ص 64.

- ¹¹ إلياس ماري، قصاب حنان، المعجم المسرحي (مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض)، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997، ص 41.
- ¹² زلط أحمد، أدب الطفل العربي (دراسة معاصرة في التأصيل و التحليل)، القاهرة/مصر، دار هبة النيل للنشر و التوزيع، ط 1، 1998، ص ص 174-175.
- ¹³ أبو الرضا سعد، النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته) -رؤية إسلامية، الرياض/السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 2005، ص ص 103-104.
- ¹⁴ ينظر، علي اسماعيل سيد، أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداي، د- ط، د-ت، ص ص 39-41.
- ¹⁵ أبو الرضا سعد، النص الأدبي للأطفال، ص 130
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص 159.
- ¹⁷ اليماني سلام، سهرة مع البقرة، الكلمة اليتيمة (مسرحيتان للأطفال)، دمشق/سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005، ص 10.
- * كاتب سوري من مواليد حمص سنة 1945 تحصل على إجازة في اللغة العربية و آدابها سنة 1972 صدرت له العديد من المؤلفات منها: الباهية (قصة للأطفال) جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع 1998، الوسام (مسرحية للأطفال) جائزة الشيخ زايد بن هزاع 2002، اللؤلؤة (قصص للأطفال)، التمساح الطائر (مسرحيتان للفتيان)، قضية شهرزاد (مسرحية للكبار)، السمكة الذهبية (5مسرحيات للأطفال)...
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص 8.
- ¹⁹ ينظر، المصدر نفسه، ص ص 18- 21
- ²⁰ ينظر، المصدر نفسه، ص ص 22-81
- ²¹ المصدر نفسه، ص ص 10-11.
- ²² المصدر نفسه، ص 13.
- ²³ المصدر نفسه، ص ص 14-15.
- ²⁴ المصدر نفسه، ص ص 24-25.
- ²⁵ ينظر، يوسف عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، القاهرة/مصر، الدار المصرية اللبنانية، 1992، ص 40.
- ²⁶ ينظر، نعمان الهيتي هادي، أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)، القاهرة/مصر، بغداد/العراق، الهيئة المصرية للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، د-ط، د-ت، ص ص 134-135.
- ²⁷ الحديدي على، في أدب الأطفال، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1988، ص 148.
- ²⁸ اليماني سلام، سهرة مع البقرة، الكلمة اليتيمة، ص 39.
- ²⁹ المصدر نفسه، ص 52.

- ³⁰ محمد دياب نهى، من صور المرأة العمانية في أمثالها الشعبية، مجلة نزوى (سلطنة عمان/مؤسسة عمان للصحافة والنشر و الإعلان)، العدد 24، 01 أكتوبر، 2000، ص280. <http://www.nizwa.com>pdfs>
- ³¹ جلاوجي عز الدين، الأمثال الشعبية بسطيف، سطيف، مديرية الثقافة، د-ت، ص 16.
- ³² إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري من أمثاله العامية، القاهرة/مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004ص27.
- ³³ سلام اليماني، سهرة مع البقرة، الكلمة اليتيمة، ص67.

6.المراجع:

- 1- إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري من أمثاله العامية، القاهرة/مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004.
- 2- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت/ لبنان، دار صادر، د- ط، د-ت المجلد 1، 2.
- 3- أبو الرضا سعد، النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته)-رؤية إسلامية، الرياض/السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 2005.
- 4- أحمد مصطفى فاروق، العثماوي عثمان مرفت، دراسات في التراث الشعبي، الاسكندرية/مصر دار المعارف، د- ط، 2000 .
- 5- إلياس ماري، قصاب حنان، المعجم المسرحي (مفاهيم و مصطلحات المسرح و فنون العرض)، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997 .
- 6- بافي باتريس، معجم المسرح، ترجمة ميشال.ف.خطار، بيروت/لبنان، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2015.
- 7- بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، الاسكندرية/مصر، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ط2، 2002 .
- 8- جلاوجي عز الدين، الأمثال الشعبية بسطيف، سطيف، مديرية الثقافة، د- ت.
- 9- الحديدي علي، في أدب الأطفال، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1988 .
- 10- زلط أحمد، أدب الطفل العربي (دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل)، القاهرة/مصر، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، ط 1، 1998 .
- 11- الصباغ مرسي، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، الاسكندرية/مصر دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006.

- 12- عبد الفتاح اسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، القاهرة/مصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2000.
- 13- عزيز الماضي شكري، في نظرية الأدب، بيروت/لبنان، دار المنتخب العربي، ط1، 1993.
- 14- علي اسماعيل سيد، أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، د-ط، د-ت.
- 15- محمد دياب نهى، من صور المرأة العمانية في أمثالها الشعبية، مجلة نزوى (سلطنة عمان/مؤسسة عمان للصحافة و النشر و الإعلان)، العدد 24، 01 أكتوبر، 2000، <http://www.nizwa.com>pdfs>
- 16- مختار عمر أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة/مصر، عالم الكتب، ط1، 2008، المجلد1.
- 17- نعمان الهيبي هادي، أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله)، القاهرة/مصر، بغداد/العراق، الهيئة المصرية للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، د-ط، د-ت.
- 18- اليماني سلام، سهرة مع البقرة، الكلمة اليتيمة (مسرحيتان للأطفال)، دمشق/سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005.
- 19- يوسف عبد التواب، الطفل العربي والأدب الشعبي، القاهرة/مصر، الدار المصرية اللبنانية، 1992.